افتح لي أبواب التوبة يا مانح الحياة

القديس يوحنا ماكسيموفيتش
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

من الصعب أن يتوب المرء ويتغيَّر داخلياً ويولد من جديد. ما نحتاجه هو وعي ضرورة التغيير والرغبة فيها، وكذلك نحتاج المعونةَ المملوءة نعمةً. كلما بدأنا التوبة بوعي وعزمٍ أشد، نفتح أبواب النفس بشكل أوسع، ونزداد نجاحاً في تحقيق الهدف.

كنموذجٍ لإعادة الولادة الكاملة نجدُ القديسة مريم المصرية، الخاطئة المعروفة في جميع أنحاء الإسكندرية منذ الطفولة. حيثما اجتمع الناس - كانت تتواجد هناك بينهم لارتكاب الخطيئة. ولما كانت بين الحجاج القادمين إلى أورشليم، ليس من أجل الله بل من أجل اللهو والخطيئة، أربكت الجميع بسلوكها.

ذهب الحجاج إلى الهيكل وكانت معهم. دخل الجميع فيما لم تستطع هي الدخول، ولأول مرة في حياتها شَعِرت بالحرج. لقد صارعت هذا الشعور وحاولت دخول الهيكل بالقوة، ولكن دون جدوى: كونها كانت مقيدة بحياة خاطئة، لم تتمكن من دخول الهيكل المقدس. من ثمّ دخل إلى نفسها الخزيُ والخجل من نفسها وحياتِها.

في حيرة من أمرها، صلّت تائبة لأول مرة أمام أيقونة والدة الإله، وفتحت لها والدة الإله الفائقة القداسة أبواب الهيكل. في الصباح، كانت في القداس وبعد أن تناولت الأسرار المقدسة، ذهبت مباشرة من الهيكل إلى البرية، بعد أن اشترت ثلاثة أرغفة من الخبز في طريقها.

وبعد سنوات عديدة وجدها الراهب زوسيما. أخبرته عن حياتها وألم محاربة الخطيئة والولادة من جديد. كانت تلك العذابات ثقيلة جدًا، وكانت هجمات التجارب مُباغتةً جدًا لدرجةِ أنها سقطت على الأرض. ثم حلَّت أيام السلام والنور، وباتت مريم هادئة. طلبت من القديس زوسيما أن يأتي إليها بعد عام ويناولها. جاء ورآها عبر النهر. عبرت إليه ماشية على الماء وتناولت وطلبت منه أن يعود بعد عام. عاد فوجدها ميتة، وبجوار جسدها كان مكتوباً اليوم الذي ناولها فيه الراهب زوسيما قبل عام.

هذا مثال على التصميم الحثيث لتغيير الحياة بالتوبة، وحدة الصراع مع الخطايا. هذا نموذج للتطهّر والولادة الجديدة.

"افتح لي أبواب التوبة يا واهب الحياة."

Source: St. John Maximovitch. Open to Me the Door of Repentance, O Giver of Life. Translated by John Sanidopoulos. Mystagogy Resource Center. https://www.mystagogyresourcecenter.com/2023/03/open-to-me-door-of-repentance-o-giver.html